رسائل لن تقرأ

حنين أحمد







حنين أحمد







غلاف : **Amany Mahmoud**

داخلي : **Amany Mahmoud**

تعبئة ورابط إليكتروني : **Amany Mahmoud**

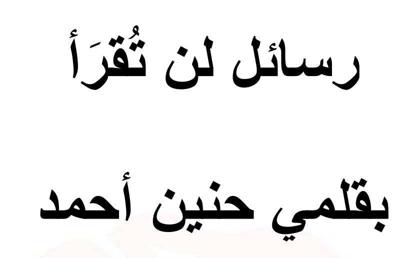
فريق عمل



للنشر الإليكتروني







رسائل لن تُقرَأ

بقلمي حنين أحمد

كلمة الكاتبة

هي فكرة خطرت لي وأحببت التجربة

رسائل لن تُقرَأ لأنها لن تُرسَل يوما لمن كُتِبَت لهم..

رسائل منفصلة وربما بعضها متصل لا أعلم..

حسب ما يجود به قلمي سأكتب..

ربما بها عِبرة وربما لا أهمية لها..

ربما تصل لقلوبكم وتجدون فيها صدى لألم أو تجربة مررتم بها قبلا..

وربما تجدونها سخيفة لا معنى لها..





وربما ستنتهي التجربة بأول الرسالة فقط لو لم أجد منكم تشجيعا ولم تمنحوني آراءكم.

لا أعلم هل ستحبونها أم لا .. هل ستحوز إعجابكم أم لا..

ولكني أتمنى من كل قلبي أن تعجبكم وتشاركوني التجربة.





مقدمة

هي رسائل من القلب ربما تكون بين طفلة ووالدها..

وربما تكون بين عاشق ومعشوقة..

وربما تكون بين أخٍ وأخته..

وربما هي رسالة للنفس لتنفض عنها رداء الضعف..

ربما تكون عن الصداقة وربما عن حب مفقود

وربما عن سعادة يبحث عنها الجميع..

ربما موجّهة لشخص لن يقرأها أبدا..

وربما هي تفريغ لمكنونات النفس فقط..

ربما من طرف واحد وربما من الاثنين..

ولكن ما يهم أنها جميعها تشترك بشيء وهو أنها لن تُقرَأ أبدا من الجهة المعنيّة بالأمر!

******







جالس على مكتبه يمسك بقلمه كما لم يفعل منذ.. لا يعلم أهي أشهر أم سنوات

أم ربما أياما وهو فقط من يشعر بها طويلة لا نهاية لها!

اتّخذ قراره سيرسل لبائعة البهجة ربما تفيده بمعضلته..

ألا يقرأ دوما رسائلها المبهجة ويتساءل كيف تكون دوما بهذا التفاؤل؟

كيف تجد حلا لكل شيء بهذا اليُسر؟! أستجد لحياته حلا كما الآخرين؟!

أم ستكون حياته أول عقبة تقف أمامها دون حل؟!

ثم حاور نفسه حتى لو لم تستطع أن تفيده بحل فيكفيه أن يُخرج ما بداخله من مشاعر

مشتتة ..



اشتدّت أنامله على القلم يمسك به بقوة حتى كاد ينكسر قبل أن يجبر نفسه على

الاسترخاء ويبدأ الكتابة.

الرسالة الأولى

لا أعلم كيف أبدأ رسالتي فأفكاري مبعثرة كثيرا ومشتتة بكل اتجاه منذ ما حدث

ربما ترين مشكلتي غبية لا أهمية لها.. وربما تكون عسيرة لا حل لها ولكني سأبدأ

على أي حال أملا أن تفهميني وتدلّيني على الطريق الصحيح..

أنا شاب عشت حياتي كلها دون عاطفة, لا أجهر بمشاعري مهما حدث..

لا لست هكذا من فراغ بل هناك ما صقل شخصيتي الجامدة الباردة وهو المنزل الذي



نشأت به.. فقد عشت بمنزل جاف لا يعدو كونه أكثر من مكان للمبيت كفندق أو ما

شابه, لا عاطفة, لا علاقة بين الوالدين وابنهما.. بل لا علاقة بين الوالدين وبعضهما

من الأساس..

فينام والِدَيّ كلٌ لحاله بغرفة منفصلة ربما منذ ولادتي فلم تجمعهما غرفة واحدة منذ

بدأتُ أعي ما يحدث حولي..

أنا الطفل الوحيد ولم أفهم السبب حتى بدأت أعي تعامل والِدَيّ معا..

أو بالأحرى عدم تعاملهما!

لا نجتمع تقريبا إلا لتناول الوجبات وليس حبا بالاجتماع معا بل لأن والدتي

أخبرتنا أن للطعام مواعيد محددة ومن يتخلّف عنها يتكفّل بنفسه فهي لن تخدم أحدا



نتناول الطعام خلال الوجبة بصمت بارد وجمود لا يكسره شيء سوى انتهاء أحدنا

من طعامه وغالبا أكون أول من ينهض فلا أحتمل الاجتماع معهما بهذا الصمت

البارد والجمود الذي يغلّف ملامحهما.

عندما كنت بالمرحلة الثانوية علمت سبب الجمود فكل منهما تزوّج الآخر رغما عنه

فأبي تزوّج أمي فقط من أجل تعزيز مكانة العائلتين والأعمال.. زواج مصالح

كما يُطلق عليه..

وأمي أحبّت شابا آخر ولكنه كان دون المستوى برأي عائلتها فرفضوه بل نفوه من

عالمها بأكمله وأرغموها على الزواج من أبي والذي للأسف لم يحاول حتى التقرّب

منها عندما علم أن هناك من سبقه لقلبها قبله!



كبرياؤه وقلبها وقفا حائلا بينهما فلم يتّخذ أي منهما خطوة تجاه الآخر..

فزاد الجفاء وزاد البرود وزادت الهوّة بينهما وتلك الهوّة هي من ابتلعتني داخلها

فلم أعد أعرف من الظالم ومن المظلوم.. كما لم أهتم بالمعرفة وأنا أتخبّط بتعاملاتي

اليومية دون سند رغم وجود والديّ على قيد الحياة ولكن ظاهريا فقط!

فكلاهما اتفقا على ما يبدو على تجاهل وجودي فأمي حمِلت بي رغما عنها لتهب

للعائلتين الوريث الذي كان أحد أهداف الزواج من البداية..

وأبي لم يهتم بوجودي سوى بعدما أنهيت الجامعة حتى أعمل معه بشركة العائلة

فأصدر القرار أنني سأعمل معه دون حتى أن يسألني رأيي ولكني لم أمانع كما لم أمانع



تصميمه على كلية معينة لأعمل معه فيما بعد فتخرّجت بها بتفوق كما العادة وبدأت

بالعمل معه بشركته وبدأت معها مأساتي فقد بدأت جدتي لأبي وهي الأقرب لقلبي

في العائلة تلح عليّ لأتزوج بل وترشّح فتيات من العائلة لأختار من بينهنّ تدفعهن

بطريقي بشتّى الطرق فحاولت تجنّب ما يحدث ولكنها لا تمِل بل وكأنها تزداد إصرارا

على تزويجي كلما تجاهلت ما تحاول فعله..

أحاول تحاشي إخبارها أنني لا أصلح للزواج.. فكيف أتزوج وأنا حتى لا أعرف ما هو

الزواج؟ لا أعرف كيف يتعامل الأزواج؟!

هل يتعاملون ببرود وجمود مثل والديّ؟! أم يظهرون عاطفتهم مثل جدي وعشقه



الواضح لجدتي؟! أم يصرّحون بمشاعرهم مثل ابن عمي المتزوج حديثا وزوجته؟!

كيف أستطيع أن أشارك حياتي مع أحد وأنا عشت طوال عمري وحيدا بمنزل جامد

يمتلئ برودة كصقيع سيبيريا؟!

بل هل هناك حقا داخلي مشاعر لأشاركها؟!

ظللت على موقفي وتجاهلي لما تفعله جدتي حتى صدمتني ابنة عمي الصغرى

باعترافها أنها تحبني!

ابنة عمري التي تصغرني بعشر سنوات وبالكاد أتمّت عشرين سنة منذ شهر تقريبا

ابنة عمي التي أتجاهل وجودها كما باقي الفتيات بل والشباب أيضا من عائلتي فأنا

أتحاشى أي تعقيد خاص بالمشاعر التي لا أملكها ولا أفهمها من الأساس!

وقتها نظرت لها بصدمة وكاد يفلت تساؤل حائر منّي..

ما هو الحب؟ وكيف يشعر من يحب؟! بل كيف تعلم أنها تحبني وكيف أعلم أنني قادر

على الحب؟!

تساؤل غريب أليس كذلك؟ أنا لا أفهم هذا التعقيد بالمشاعر..

هل فسّرت اهتمامي بما أصابها منذ فترة حبا من جانبي؟!

والسؤال الأكثر أهمية والذي أتحاشاه منذ فترة هل حقا كان اهتماما أم أن الأمر لا يعدو

أكثر من مسؤلية تولّيتها في غياب عمي وزوجته؟!

وبنفس اليوم أخبرني والدي عن ابنة صديق له وعن رغبته أن أقترن بها!

وتلك الفتاة رأيتها مرة واحدة ولكني كرهتها كما لم أكره أحدا ليس لشيء إلا

لأنها مدللة, تعيش لإنفاق مال والدها دون عمل شيء مفيد بحياتها..

وتلقائيا وجدتني أرفض الزواج بها وأخبر والدي برفضي القاطع للأمر وأنا أستحضر

ملامح ابنة عمي الصغيرة الناعمة التي تمتلئ حياة وصخبا..

وباليوم التالي وجدتني أقاطع سرد جدتي لمزايا إحدى الفتيات لأسألها عن ابنة عمي

شهد.. لترمقني جدتي بغموض وهي تسألني لماذا أريد معرفة شيء عنها؟

فلم أهتم يوما بأي فتاة من العائلة لأجد لساني ينزلق للمرة التي لا أعلم عددها وأخبرها

أنني أريدها زوجة لي!

لا أعلم أيّنا كان أشد صدمة من الآخر!

أنا بما زلّ به لساني أم جدتي التي عبّرت عن فرحتها بصخب بل وهاتفت أبي وعمي

وأخبرتها بطلبي يد شهد وأنا واقف أمامها أشعر بالذهول لمسار الأحداث!

وها أنا جالس بغرفتي لا أعلم ماذا أفعل!

هل أكمل في هذه الزيجة وأعتمد على شهد لتبدّل جمود حياتي وتملأها صخبا؟!

أم أنهي الزيجة تماما وأبتعد عن كل ما يمت للمشاعر بصلة وأكسر ليس قلب شهد

فقد بل قلب جدتي التي أسرّت إليّ أنها طالما تمنّت لشهد أن تكون من نصيبي!

ها أنا أكتب إليكِ بائعة البهجة لأستقي منكِ الحل؟!

هل هناك أمل أن تكون حياتي مختلفة عن حياة والِدَيّ؟

هل هناك أمل أن يكون داخلي مشاعر لتلك الصغيرة التي بعثرت كياني باعترافها الخجول؟!

هل هناك حقا ما يُدعى الحب؟! وهل هو إحساس جميل أم يجلب العذاب كما يقول البعض؟

وأخيرا سيدتي.. هل أكمِل الزيجة أم أنهيها؟!



ترك القلم يسقط من بين يديه وهو ينهت بقوة وكأنه كان بسباق..

أعاد قراءة ما كتبه ليبتسم بسخرية من حاله المبعثر ومشاعره المرتبكة كمراهق

غِر ساذج قبل أن يغلق الدفتر الذي يدوّن به ما يعتمل داخله وهو يعلم جيدا أنه

لن يرسل هذه الرسالة أبدا كما لن يُطلِع أحدا عليها أبدا.

****

دلفت لغرفتها وأغلقت الباب خلفها ثم أسندت ظهرها عليه وهي تشعر بالارتباك

يغزو كيانها.. هل حقا طلبها شاهر للزواج؟!

لم تصدق ما أخبرها إياه والدها عندما عاد للمنزل وظلّت ترمقه بذهول وبلاهة حتى

تعالت ضحكات والديها على مظهرها لتركض خجلا لغرفتها وهي مازالت لا تصدق

أنه حدث حقا!



لقد شعرت بالبلاهة أكثر مما فعلته عندما اعترفت له بحبها ورأت ملامحه الجامدة

دوما تنفرج بذهول عارم ونظرات مصدومة!

جلست على فراشها ثم التقطت الحاسب المحمول خاصتها وفتحته على الملف السري

الذي تحتفظ به بمكنونات قلبها خِفيَة عن الجميع وفتحت صفحة جديدة وبدأت الكتابة..





الرسالة الثانية

بدأت الحكاية عندما كنت بالخامسة من عمري أرمق الجميع حولي بفضول وأحاول فهم

ما يتحدّثون عنه وألقي دوما بأسئلة تثير ضحك والديّ وجدّاي.. ألهو بالمكان دوما

بصخب لا يكترث له الجميع سوى واحد فقط وهو ابن عمي شاهر..

دوما كانت نظراته جامدة لا يصدر صوتا ولا يشترك بأي حديث فقط ينظر بهدوء

أقرب للجمود ولا يظهر عليه أي مشاعر إنسانية وهذا كان يثيرني على ما يبدو لأثير

حنقه فقط ليظهر مشاعره واعتدتُّ ذلك حتى أصبحت أكثر نضوجا وأصبح هو يتحاشى



الوجود بالتجمّعات العائلية التي حافظت عليه أغلب العائلة حتى والديه اللذين شعرتهما

يتظاهران دوما بشيء ليس موجودا حقا وهو التفاهم والود بينهما!

لا أعلم ماذا لفت نظري بشاهر ولكني وجدت نفسي أتتبع خطاه كما كنت أفعل وأنا

طفلة لأثير حنقه آنذاك ولكن عندما نضجت كان فضولي تجاهه ومشاعر أخرى لم

أفسّرها قبلا تحرّكني نحوه..

فصرت أتواجد عندما يتواجد هو وكانت تساعدني جدتي التي اكتشفت فيما بعد أنها

لاحظت مشاعري تجاه شاهر وعرفت كنهها ربما قبل أن أدركها أنا!

كنت أظهر بمحيطه فقط لأحظى بأي رد فعل ولم يكن يخيب رجائي فتارة يندهش

وتارة ينزعج وتارة أخرى ينجح بحجب مشاعره التي تظهر بنظراته الرافضة لأي

وجود سوى وجود جدتي ولكني لم أبالِ حتى سمعت أن والده ينوي دفعه للزواج بابنة

صديق له وكان قد أسرّ لجدتي بذلك عندما طلبت مساعدته لتزويج شاهر..

يومها وجدتني أراجع كل مواقفنا سويا وهي كثيرة من جانبي وشحيحة برد الفعل من

جانبه ولكني لم أهتم كل ما اهتممت له أنني أحصل على رد فعل وإن كان محض

نظرة لا يمكن تفسيرها ولكني كنت أفسّرها كما أحب وأهوى..

وقتها تذكّرت موقفا محددا حدث بيننا عندما كنت بمنزل جدتي أتبع خطاه وأفاجئه

كعادتي بموعد زيارته لها قبل أن يصيبني ألم خصري الذي بدأ منذ فترة وأهملته

ولم أخبر حتى والديّ عنه ولكن هذه المرة كان أكثر قوة مما استطعت تحمّله قبلا

ليجدني شاهر في مطبخ جدتي أجلس على الأرض أحاول كتم شهقاتي ودموعي تسيل

مدرارا على وجنتيّ وقتها كان رد فعله الفزع الشديد وهو يقترب منّي يسألني عمّا ألمّ

بي لأخبره بين شهقاتي عن الألم الذي ازدادت حدته حتى عجزت عن كبح شهقاتي

ليفاجئني بحمله لي بين ذراعيه مقرّبا إيايّ لصدره بحميّة جعلتني وفي خِضم مرضي

أتمنى لو أظل هكذا بين ذراعيه دوما وكأنه المكان الذي ولدت لأكون به طوال حياتي

وكأني ولدت لأكون له وبعدما أفقت من عملية إزالة الزائدة الدودية وجدته لدهشتي

مازال مع والديّ في المشفى يرفض الرحيل إلا بعد أن يطمئن عليّ!

حديث والدي يومها يضرب عقلي وقلبي معا فوقتها أخبر والدتي أنه يتمنّى شاهر لو



كان ابنه هو لا ابن شقيقه الذي لا يقدّر نعمة وجود شاهر بحياته لا هو ولا زوجته

ويتعامل معه وكأنه آليّ لا مشاعر له..

ليثور قلبي عليّ يحاول ترجمة مشاعري لكلمات مفهومة وعقلي يرفض تسميتها

خوفا من الخذلان والرفض حتى كان ما سمعته عن العروس المحتملة فلم أطق

صبرا وقلبي يصرخ بي أنه يعشقه وأنه لن يكون إلا له فقط!

فأذهب لمنزل جدتي القريب من منزلنا وأنفرد به ربما بمساعدة من جدتي فعلى ما يبدو

أن الجدة تعلم الكثير عن مشاعري وابن عمي ثم أخبره بخجل أنني أحبه وأرى صدمته

ونظراته الذاهلة تجاهي قبل أن أفِر خجلا من اعتراقي الصريح الوقح بنظري فقد



نشأت أن الشاب هو من يعترف وليس الفتاة وظللت ألوم نفسي طوال يومين حتى

فاجأني والدي بحديثه منذ قليل!

هل حقا حبيبي طلب يدي للزواج؟!

هل هذا يحدث حقا أم أنني أحلم وسأفيق من حلمي الجميل على واقع أنه ليس لي؟!

نبضات قلبي تتسابق داخل قلبي وقلبي يختض بقوة داخل صدري وتنفسي يزداد

حدة وأنا أحاول إدراك أن كل ما يحدث حقيقة وسأكون حقا لمالك قلبي وكياني كله!

أنتظر موعد زيارته لمنزل أهلي وطلبه لي رسميا وتحديد موعد عقد القران والزفاف

كما أخبرني أبي قبل قليل وهو يسألني رأيي ولو أني على ما يبدو مفضوحة



المشاعر لوالديّ منذ يوم عملية الزائدة فقد تحدّث وهو يرمقني بنظراة ذات مغزى

خاصة عندما فغرت فاهي ببلاهة أمامهما ليضحكا معا وأركض أنا لغرفتي وكلي

شوق لأكون زوجته ووقتها سأعلّمه أن يعشقني ويغرق ببحور عشقي كما غرقت

أنا بين أمواج الهوى منذ عقود.

****

انزوت بغرفتها بمنزل أهلها الذي عادت إليه منذ فترة عَقِب طلاقها..

جلست على فراشها ساهمة النظرات كما هي منذ مدة طويلة وحتى قبل الطلاق

حزينة وبائسة كما شاكسها والدها الذي يحاول إخراجها مما هي فيه وهو يتحدّث معها

عن شقيق زوج أختها الراحل الذي طلب يدها وهي تتلكّأ في الرد بل في الجلوس معه

من الأساس فترسم ابتسامة واهية على شفتيها حتى تطمئن قلبه قبل أن تنزوي بغرفتها

تحاول التفكير في الرجل الذي حتى لا تتذكر ملامحه جيدا فلم تقابله سوى عدة مرّات

كانت بها هائمة في طليقها كالحمقاء.

زفرت بقوة قبل أن تلتقط الدفتر الذي لا يغادرها مؤخرا كلما شعرت بالتردد أو

الضعف فتفتحه وتقرأ ما به علّها تستمد القوة التي تسلّحت بها لتواجه كل ما حدث

معها قبلا وها هي تفعل بهذه اللحظة فتفتحه وتقرأ ما كتبته به حتى يكون وقودا

لقوتها التي بدأت تتداعى أمام الحديث الذي تسمعه بل وتراه بنظرات الأهل والأصدقاء

وحتى الجيران.. فقط والديها وشقيقتها هم الذي يمدّونها بالقوة لتواصل حتى أن شقيقتها

هي من اقترحت عليها الكتابة حتى تخرج ما بقلبها فتشعر بالراحة وبنفس الوقت

لا تشعر بالخجل من أن يعرف أحدهم مشاعرها..

تقرأ رسالة كتبتها له منذ عدة أيام تخرج بها كل ما يعتمل داخلها من مشاعر وهي لن

ترسلها أبدا وهو لن يقرأها أبدا!

تقرأ ما حدث مرة تلو الأخرى حتى تستطيع اتّخاذ قرار التجربة من جديد خاصة بعدما

مرّ عامين على انفصالهما ولدهشتها طوال العامين لم يكِل رأفت (شقيق زوج أختها)

عن طلبها وطلب مقابلتها وهي حتى هذه اللحظى تخشى البدء من جديد..

تخشى أن تعاود فتح قلبها المجروح حتى لا يُكسَر مرة أخرى وإذا حدث هذه المرة



لن يفيد معه أي ترياق



الرسالة الثالثة

هل يمكن أن تقسو عليّ أكثر؟ أراقبك تقف معها عيناكَ تلمعان بشغف لا تستطيع منعه,

وكيف تمنعه وهي حب حياتك الذي فقدته على غفلة منك لتعود فجأة ويعود معها شغفك

وعشقك الخفيّ لها!

وأنا!!

من أنا بحياتك حقا؟!

لا.. لا تخبرني لا أريد أن أعلم أو ربما أعلم ولكني أوهم نفسي فقط أن هناك أملا

بعلاقتنا..

أمل أحمق يجعلني أتمسك بزواجنا الفاشل منذ البداية..



زواج لم ترده يوما وأردته أنا كل لحظة بحياتي منذ تفتّحت أنوثتي وتفتّحت معها

مشاعري تجاهك..

أغلقت عيني كما أغلقت عقلي عن رفضك الصريح لي بكل نظرة منك تجاهي وأوهمت

نفسي أن كل ذلك ما هو إلا تردد فقط لأنك لا تعلم مشاعري تجاهك..

أكان غرورا مني أو جنونا لا أعلم ما أعلمه أنني خسرت!

أجل حبيبي خسرت..خسرت حبك الذي لم أحصل عليه من الأساس,

وخسرت قلبي الذي هام بك دون أي رد فعل من جهتك,

خسرت قوتي وأنا أحارب من أجل حبك,

وخسرت نفسي بخضم كل ذلك وهذا ما لم أحتمله أبدا.

احتملت جفاءك معي, احتملت تباعدك عني, احتملت حتى عدم حبك لي

ولكني لم أستطع احتمال خسارة نفسي!

لم يتبق لي شيئا سواها فهل سأخسرها أيضا؟!



هل تذكر ليلة عودتك من السفر؟ كنت أتأنق لأترك تأثيرا بداخلك عندما تراني بعد

مرور ثماني سنوات.. ثمانية سنوات لم أفكر سوى باللحظة التي أراك بها حين عودتك

لأصدم بك وأنت لا تعيرني أي اهتمام بل نظرة عابرة وابتسامة أقل من عادية

لتحوّل نظراتك بلهفة لشقيقتي!

فهل هناك شيء أكثر قسوة من ذلك؟!

شقيقتي المتزوجة بابن عمنا والتي تهيم به عشقا منذ مراهقتها..

تخيّلت أنك نسيتها ولكن نظراتك الملهوفة عليها وامتقاع وجهك عندما رأيت زوجها

يطوّقها بذراعيه بتملك وهو يخبرك عن زواجهما وحملها أعلماني أنك ما زلت على

العهد القديم بعشقها.



وبعدها بفترة أخبرتني أمي أنك تطلبني للزواج ..وقتها لم أفكر لحظة واحدة وأنا

أوافق بجرأة استنكرتها أمي وربما كانت تلك اللحظة هي بداية عذابي الحقيقي بحبك

والذي لم تدرِ عنه شيئا يوما..

بيوم زفافنا والذي لم أفهم لِمَ أسرعت به رغم أنك لا تحبني لن أقول شعرت بالجرح لا

بل الكسر!

نظراتك الخاوية اللامبالية تجاهي جعلتني أتساءل هل حقا طلبتني للزواج أم أن أحدا

آخر هو من فعل!

حتى ظهرت هي ووقتها انتفضت بجانبي بطريقة غريبة جعلتني أريد الهرب مما

ينتظرني وكأنني شعرت أنك حقا لا تريدني وأن زواجك مني ما هو إلا ردّا لكرامتك

أمام جميع من يعلم بحبك لها..

ولكن ماذا كان بيدي أن أفعل؟!

هل أنهض وأخبرهم أنني أريد الطلاق بعد ساعات من عقد قراني؟!

وبِمَ سيفسّر الجميع ما أقوله؟!

صمتٌّ ولم أعلم أنها بدايتي مع الصمت والتحمّل..

كانت ليلتنا الأولى رائعة حتى أنني شككت أنك تحبها حقا حتى نطقت باسمها وأنا بين

أحضانك!

أكنت تتخيّلني هي؟!

الصدمة شلّت لساني فلم أستطع النطق وبعدها استغرقت أنت بالنوم ونهضت أنا بهدوء

حتى وقفت تحت شلال الماء بالحمام أبكي وأبكي كما لم أبكِ يوما.. وعلمت وقتها أنها



بداية نهايتي معكَ وكل ما تمنيته وقتها أن ينزع الله حبك من قلبي فلم أعد أستطيع أن

أهبك حبي ومشاعري وحياتي كلها وأنت لا تراني من الأساس.

حتى الأطفال حرمتني منهم بكل أنانية بحجة أنك تريد أن نستمتع بحياتنا أولا..

وبالطبع علمت السبب الحقيقي ولكني لم أبالِ!

ولِمَ أنجب أطفالا من رجل أعلم أنني سأتركه يوما إذا لم يتركني هو قبلا!

وظللت كل يوم أدعو الله أن ينزع حبك من قلبي أو يجعلك تحبني دون جدوى..

فلا أنت أحببتني ولا أنا استطعت نسيان حبك.

ليمر عام كامل كلما لمستني فيه شعرت بالغثيان لأنني أعلم أنك لا تراني بل ترى

شقيقتي..



عام كامل تكون معي وتهمس باسمها حتى أصبحت أتهرّب منكَ ومن أي طريق يجمعنا

معا.

ابتعدت عنك وعن كل التجمّعات التي تجمعني بها حتى لا أرى نظراتك المسروقة لها

وأنت حتى لم تسألني السبب!

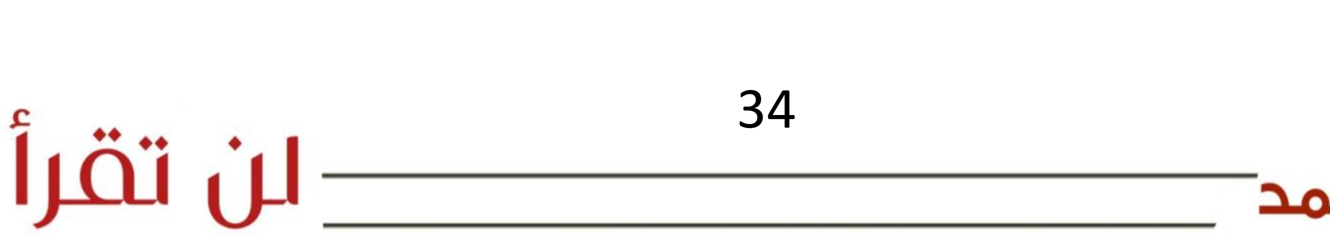
هل ارتحت لأنك تستطيع النظر لها دون مراقبة؟ أم لأن وجودي يثقل ضميرك؟!

لم أهتم حقا فقد تجنّبت كل شيء حتى أنت وهل لاحظت أنت؟!

هل فكرت يوما فيما اعتراني؟!

لا أظن.. فلو فكرت لكنت سألت حتى من باب الفضول إن لم يكن الاهتمام.

ليأتي الحادث الذي أصاب زوج شقيقتي ليكون القشة التي قسمت ظهر البعير كما



يقولون..

لم تستطع أن تداري فرحتك بوفاته عنّي فعيناكَ كانتا تلمعان بقوة حتى لو رسمت

التجهم والحزن على وجهك ولكن يبدو أنك نسيت شيئا هاما..

فأنت لن تستطيع الزواج منها طالما أنا زوجتك لذا... أحببت أن أختصر عليك الطريق

فطلبت الطلاق وحقا رد فعلك لم يفاجئني أبدا!

فقد وافقت على الفور ولم تسأل حتى عن السبب فكل ما كان يهمك هو الزواج بشقيقتي

قبل أن يخطفها منكَ آخر..

وقتها رأيتك تقف معها وملامحك كلها تنطق بهجة وكيف لا تبتهج وكل الحواجز تُزَال

الواحد تلو الآخر؟!

ولكنك في خضم ابتهاجك وتخطيطك للتقرّب من أختي نسيت شيئين هامين..

أولهما.. أن شقيقتي كانت تعشق زوجها ولن ترضى بسواه بديلا..

والآخر.. أنها لن تتزوج بطليق شقيقتها.

هل صُدِمت؟!

حسنا لا أستطيع القول أنني لم أشعر بالشماتة بل على العكس تماما.. فمنذ طلبي الطلاق

وأنا أخطط لرؤية هذا اليوم..

اليوم الذي ترفضك فيه من ازدريتني من أجلها؟!

من عاملتني كجارية تأخذ منها ما تريده وتتركها غيرعابئ أكانت راضية أو لا!

اللحظة التي رأيتها بها تنهرك بقوة وحزم وتنهاك عن التقرّب منها وما تفعله منذ وفاة

زوجها وطلاقنا كانت اللحظة التي شعرت بها أنني مستعدة لأبدأ من جديد..

او بمعنى أدق اكمل حياتي التي توقفت بسببك..



أكملها مع رجل يعشقني ويقدّرني ويراعي مشاعري وأنوثتي التي جرحتها مرارا

بلامبالاتك وعشقك لأخرى.

مستعدة لأراكَ خاسرا أخيرا بعد شهور تمنيت فيها رؤية نظرات الخذلان والحزن

والألم بعينيك..

وها قد رأيتها أخيرا وانتصر الله لي وآن أوان طي صفحتك من حياتي للأبد.

فوداعا يا من كنت لي يوما كل شيء وأصبحت بهذه اللحظة لاشيء.

انتهت من القراءة لتنهض وكلها عزم على الموافقة على مقابلة رأفت الذي

يصر عليها بطريقة غريبة تتساءل بقلق رغما عنها هل ستجد فيه العوض عمّا حدث

معها أم سيكون خيبة تضاف فوق خيباتها!







الرسالة الرابعة

لم أصدّق حين رأيتك بعد كل هذه السنوات!هل هذا أنت حقا؟!

نبضات قلبي كانت بسباق مجنون حالما وقعت عيناي بعينيكَ وعلى الرغم أنني على

يقين أنكَ لن تتذكرني إلا أن وجهي اشتعل خجلا وقلبي انتفض بين ضلوعي حالما

رأيتكَ..

شعرت بالحزن أنك لم تتذكرني على الرغم أنه شيء طبيعي ولكن لم أملك إلا أن أشعر

بالحزن فقد كان هناك أملا ضعيفا بداخلي يتمنى أن تتذكرني لو رأيتني يوما.

هل تذكر ذاك اليوم؟!أول مرة رأيتكَ بها؟!



كنت طفلة يتيمة, وحيدة, أقرب لمتسولة منها إلى طفلة عادية..

كنت ألعب بحديقة قريبة لمنزلي اعتدت الذهاب لها مع والديّ بعد أن وجدت نفسي

وحيدة وكل الناس الذين اجتمعوا ليوصلوا لي خبر وفاة والديّ والتي لم أفهمها يومها

غادروا وتركوني بمفردي بعدما أوصوني أن أنتظر قريبي الذي سيأتي لأخذي,

قريبي الذي لم أعرفه قبلا ولا أعرف حتى شكله!

ولكن كعادة طفلة وحيدة أصابني السأم وخرجت لألعب في الحديقة القريبة من المنزل

وهناك قابلتك للمرة الأولى!

الهلع الذي أصابكَ لرؤية طفلة تلعب في هذا الوقت وتحت مياه المطر المنهمر بقوة

لتركض إليّ سريعا وتجذبني لمكان مظلل وأنت تسألني:



"ما الذي أتى بكِ هنا بهذا الوقت؟ أين والداكِ؟! كيف يتركونكِ بمفردكِ هكذا وبهذا

الوقت؟"

وعلى الرغم من كل التحذيرات التي طالما أمطراني بها والِدَيّ من التحدث لغريب

إلا أني لم أركَ غريبا أبدا ولا أفهم السبب حتى هذا الوقت!

لأجيبك ببراءة:"والديّ ماتا, وأنا سئمت الجلوس بمفردي فجئت لألعب.. فأنا أحب

المطر"

لن أنسى أبدا الصدمة التي ارتسمت على ملامحك وأنت تنظر لي بانشداه قبل أن

تضمني إليكَ بحنو لأتملص من بين يديكَ بحرج وأنا أقول:"لا يصح عمو, عيب"

وتلك القهقهة الرائعة التي خرجت منكَ لا أظن أنني سأنساها يوما!

"لا تقلقي إنه يجوز فأنتِ طفلة وأنا كبير"

"كم عمرك؟"!

سألتكَ بفضول لتجيبني بابتسامتكَ الرائعة":عشرون عاما.. وأنتِ؟"

"عشر سنوات, إذا أنت تكبرني ب عشر سنوات فقط"

"وهل هو فارق صغير؟"

تسألني بمشاكسة مرحة لأجيبك بجدية:

"أجل, يصلح لأن أتزوج بكَ يوما"

لتقهقه مرة أخرى وأنت تمسح على شعري برقة قائلا:

"وهل أنا محظوظ كفاية لأتزوج من فتاة رائعة الجمال مثلك؟"

لأبتسم بخجل وأنا أقول:"هل تراني جميلة؟"

"بل يخجل منكِ الجمال يا صغيرة, أنتِ فاتنة"

ابتسمت ببهجة وأنا أقول:"كيف علمتَ اسمي؟"

لتعقد حاجبيكَ لبرهة قبل أن ترمقني بدهشة وأنت تسأل":اسمك فاتنة؟"

أومأت بفرحة لتبتسم تلك الابتسامة التي سلبت لُبّي رغم صِغر سني وتقول:



"صدق من أسماكِ يا صغيرة"

وبعدها كانت أول وجبة كاملة لي منذ اختفاء والديّ ووصول خبر وفاتهما لي فقد

اصطحبتني لمطعم بعد توقف المطر وأكلت حتى امتلأت وجاء وقت الفراق لأتمسك

بيدك وأنا أقول:"أرجوك, خذني معكَ, لن أضايقكَ ولكن لا تتركني وحدي فأنا أخاف"

لترتبك وأنت تنظر لي بحنو لا تعلم ماذا تفعل ويبدو أنكَ ظننت أني أخترع قصة موت

والديّ وأنني فقط طفلة لا أستمع لكلام الكبار لتمسك بيدي بحنو وأنت تقول:

"لا أستطيع فاتنة,لا أستطيع أخذكِ معي.. ربما بعد فترة ولكن بالوقت الحالي

لا أستطيع, أنا آسف"



نظرت لكَ بحزن لا أمتلك سواه, فقد ظننت وقتها أنني سأظل معكَ دوما

..

أوصلتني لمنزلي الفارغ من البشر وأنا أكاد أتوسل لكَ ألا تتركني

بمفردي فلا أحد يهتم

بي ولا حتى القريب المزعوم الذي من المفترض أن يأتي لاصطحابي

ولكني لم أنبس

ببنت شِفة فقد فهمت على الرغم من صغر سني أنكَ مجبر على تركي

وأنه ليس بيدك

أبدا فصمتُّ حتى لا أزيد من عذابك واستمعت لوعدك بزيارتي قريبا وأنا

أتمنى ألّا

تخلف بوعدك لي مثل الآخرين.

وقد وفّيت بوعدك لي وأتيت بعد يومين بل طوال أسبوع كنت تأتي لي

بالحديقة التي

أصبحت المفضلة لدي فقط لأنني أراكَ بها..



طوال أسبوع لم يسأل عليّ أحد.. ومن سيسأل عليّ وأنا لا أعرف أحدا ولا أحد

يعرفني.. ولم أفهم وقتها أين هذا القريب الذي أخبروني أنه سيأتي لاصطحابي!

هل نسيني أم أنه لا وجود له من الأساس؟!

فأنا لم أعرف لي قريبا قط فقد كنا نعيش بمفردنا ولم يزورنا أحد أبدا.

ولكني لم أهتم.. لم أهتم أني أظل بمفردي حتى وقت لقاءكَ,

لم أهتم أني لا يدخل بجوفي طعاما إلا ما تحضره لي,

لم أهتم لشيء قط إلا أنتَ والوقت الذي أقضيه معك.

حتى جاء ذلك اليوم الذي نسيتني أنتَ أيضا به ولم تأتِ..

قضيت اليوم بأكلمه بالحديقة أرتعد من البرد فقط حتى إذا جئت وجدتني ولكنكَ لم تأتِ

أبدا!



وعدت ليلا إلى منزلي, تلك الحجرة الصغيرة غير الآدمية بغياب والديّ لأجد قريبي

ذاك واقفا أمامها يتلفت حوله ويصرخ مناديا باسمي.. كان رجلا كبيرا لم يكن طاعنا

بالسن بل يبدو بأوائل الأربعينات ولكنه كبيرا بالنسبة لي.. وعلمت بعدها أنه عمي!

أين كان هذا العم؟! ولِمَ لم أره طوال حياتي؟! لا أعلم ولم أهتم بأن أعلم بل كل ما

اهتممت له أنه سيأخذني بعيدا عنكَ وأنا...

أنا لم أفقد الأمل أن تأتي.. ولكن لم يكن بيدي شيء.

غادرت معه ليأخذني لبيت كبير أقرب للقصر منه للبيت ولكني لم أشعر بأي سعادة وأنا

أدخله.. بل على العكس تماما لقد شعرت بالحزن يطبق على أنفاسي فقط لأنه بعيد جدا

عن منزلي القريب منكَ!



دخلت خلفه بتردد وعيناي تتجولان بالمكان لأجد رجلا آخر كبيرا بالسن عرّفني عليه

عمي أنه جدي.. ثم امرأة كبيرة كانت جدتي.. وامرأة أخرى كانت عمتي.. ورجل آخر

كان زوج عمتي وامرأة أخرى كانت زوجة عمي.

هذه عائلتي كما فهمت.. عائلتي التي تخلّت عن والدي ومسحته من تاريخها فقط لأنه

تجرّأ وتزوج بامرأة لا تليق بهم!

وعلى الرغم أني لم أفهم جيدا كل ما قيل إلا أني أحببت عمي وزوجته كثيرا وعمتي

أيضا على الرغم أنني لم أرها بعدها إلا لِماما.. أما جدتي فكانت تشبه أمي برقتها

وحنوها..

وجدي على الرغم من قسوته الظاهرة إلا أنه لم يقسو عليّ قط ورغم كل هذا الحب

والاهتمام والعناية التي أُحطت بها إلا أني لم أشعر أبدا بالسعادة التي شعرت بها معكَ

في تلك اللحظات القليلة التي عشناها سويا.

وظللت أتذكّركَ وأتذكّر لحظاتنا سويا وأدعو الله أن أراكَ مرة أخرى ولو لقاءا عابرا

ولكنه لم يحدث.

حتى كان ذلك اليوم القريب البعيد بعد خمسة سنوات كاملة..

رأيتك وقتها وكدت أقفز فرحا حالما رأيتكَ ولكني تمالكت نفسي كما اعتدتُّ أمام

الناس.. فماذا سأخبرهم؟!

هذا الطبيب الناجح هو صديق لي؟!

أجل رأيت صورتك بالجريدة وعلمت اسمكَ كاملا بل وعنوان المشفى التي تعمل به



أيضا ..

رأيتكَ بطلا كما كنت بمخيلتي دوما وعلى قدر فرحتي بكَ على قدر غضبي منكَ لأنكَ

نسيتني..

هل أخبركَ سرّا؟!

لقد ذهبت إلى المشفى عدة مرات حتى أراكَ ولكن لم يُكتَب لي رؤيتك فكنت أعود

للمنزل خائبة المسعى حتى توقفت عن الذهاب هناك وعقدت العزم لنسيانكَ كما

نسيتني..

والسؤال هنا.. هل استطعت نسيانكَ؟!

والإجابة من أبسط ما يكون وهي لا!

لم أستطع نسيانكَ أبدا على الرغم أنني توقفت عن تتبّع أخبارك والذهاب لذاك المشفى



من أجل رؤيتكَ ولكنكَ سكنت روحي وقلبي فلم أستطع منع تلك النبضة التي تفلت من

قلبي حينما ترتسم صورتكَ بخيالي..

وانشغلت بدراستي حتى وصلت للعام الأخير من كليتي وتخرجت بتفوق لم أظن أنني

سأصل إليه يوما..

وبدأ الأمر الذي ينغِّص عليّ حياتي منذ فترة.. تقريبا منذ انتهائي من المرحلة الثانوية

ودخولي الجامعة.. فقد بدأ الخطّاب يطرقون بابنا من أجلي وأنا أرفض دون نقاش

والحجة... الدراسة.

ووافقني جدي وعمي على ذلك رغم تذمر جدتي إلا أني تمسكت برأيي وساعدني

تفوقي على ذلك.



حتى تخرجت منذ فترة وبدأ الإلحاح من جدتي وعمتي وحتى جدي.. ولكني رفضت

أيضا.

وكيف أوافق على رجل ليس أنتَ؟!

لم يخطر لي أنكَ ربما تزوجت ونسيتني حقا إلا عندما رأيتك معها!

وقتها وكأن روحي سُلِبَت مني بقوة حتى أنني شعرت باختناق ولم أستطع التنفس لأفقد

وعيي..

ولم أتخيل أنني عندما أستعيد وعيي أن عينيكَ أنتَ ستكون هي أول ما أراه لأتوقف عن

التنفس مرة أخرى ولكن هذه المرة ببهجة وترتسم الابتسامة بعينيّ وأنا أنظر لكَ بحب

لا أظن أنكَ فهمته لحسن حظي.. لترتبك أنتَ بقوة وأنتَ تحدّق بي وتنهض وأنتَ تخبر

جدي أنني على ما يرام ربما فقط انخفض ضغطي لأبتسم وقتها للجميع حتى أطمئنهم

وما إن رفعت بصري حتى واجهتني ذات الصورة مرة أخرى.. صورتكَ معها!

تتأبط ذراعكَ بتملّك وأنت تنظر لها بحب!

حب آلم قلبي العاشق لكَ منذ سنوات لأشعر بألم قوي بقلبي جعلني لا أقوى على

النهوض ليستدعوكَ مرة أخرى وما إن وقفت أمامي حتى التصقت بكَ تلك الفتاة وهي

ترمقني بفضول وأنا أرمقها بألم شعّ بنظراني صراحة دون أن أستطيع ردعه..

"أحمد! ما بكَ؟ هل الفتاة بها شيء خطير؟"

انتزعتني نبرة الفتاة المهتمة ولا أعلم هل هي مهتمة بكَ أم بي؟! ليصلني صوتكَ

تطمئنها وأنا الأدعى أن تطمئنني..

"لا تقلقي عزيزتي, فقط تحتاج للطعام فيبدو أنها تهمل طعامها"

(بل أحتاجكَ أنتَ أحمد ولكنكَ نسيتني)

قلتها بحرقة وللحظات تجمدت مكاني وأنا أخشى أن أكون تفوّهت بها بصوت عالٍ

لأجدكَ ترمقني بغموض والكل ينظر لي نظرة عادية فعلمت أنني لم أنطقها بل قلبي

من قالها فشعرت بالطمأنينة قليلا قبل أن أسمعكَ تقول":هل تقابلنا من قبل؟"

لم أعلم ماذا أخبركَ؟!

هل أخبركَ أني أنا الفتاة التي عطفت عليها وأطعمتها ليالِ عديدة؟!

أجل فقد فهمت أنه كان عطفا وليس حبا كما توهمت طوال تلك الفترة..

أم أخبركَ أنني لا أعرفكَ من قبل وأكون بذلك كذبت على قلبي قبلكَ؟!

وأنقذتني عمتي وهي تقترب منا قائلة":هل تعرّفت على فاتنة يا أحمد؟! ما رأيك بها؟"



وتمنيت وقتها أن أختفي من الوجود وأنا أرى ابتسامتكَ اللطيفة لعمتي

وأنتَ ترمقني

بذات النظرة الغامضة قائلا":فاتنة! الاسم يليق بها كثيرا عمتي.. فهي

فتنة تسير على

قدمين"

شعرت أن الاحمرار يغزو كياني بأكلمه وليس فقط وجهي لأشيح

بوجهي أكاد أختفي

من الخجل لتبتعد بعدها مع فتاتك التي نسيتها أو تناسيتها وأنا أتخيل

أنكَ ربما تعجب بي

لأعود للواقع على صوت عمتي":أتمنى أن يكون من نصيبك فاتنة"

"من هو؟"

سألتها بتردد لتجيبني:"أحمد يكون ابن أخت زوجي,شاب لا يوجد مثله

أبدا.. أتمنى أن

يكون من نصيبك حبيبتي"



وعلى الرغم من سعادتي بدعوة عمتي إلا أني سألتها:

"ولكن الفتاة التي معه أليست....؟"

"إنـها شقيقته"

هل يجوز القفز سعادة والصراخ أجل.. أجل؟!

ولكني لم أفعل بالطبع بل التزمت الصمت مع ابتسامة ارتسمت بعينيّ فقط.

وتكررت لقاءاتنا التي لم أفهم هل هي مصادفة أم لا ولكني لم أهتم حقيقة.. بل استمتعت

بكل صدفة كانت أم لا..

فكل ما أهمني أنني أراكَ وأقضي معكَ الوقت حتى ولو لم تتذكرني.

حتى جاء ذلك اليوم الذي كان نقطة التحول بحياتي..

اليوم الذي تقريبا وُلِدتُ به من جديد عندما أخبرني جدي أنه هناك من تقدّم لي ولن

أستطيع الاعتراض عليه!



وجدتني أسأل من هو وأنا لا أظن أبدا أنكَ هو ليصدمني جدي ويخبرني أنكَ العريس!

وقتها أردت القفز بقوة والصراخ أجل أقبل.. أجل أعشقه..

ولكن ما حدث هو العكس تماما فقد سكنت تماما وأنا أنظر لجدي بعدم استيعاب ليضحك

عاليا وهو يضمني له وقد فهم صمتي وصدمتي أنه خجل وموافقة وعلى الرغم أنه

هكذا حقا إلا أنه كان ممزوجا بصدمة!

هل تذكّرتني؟! أم أنكَ تقدّمت لي ك فاتنة التي تعرّفت عليها مؤخرا؟!

وهل يهم؟!

صدح هذا السؤال بداخلي لأجدني عاجزة عن إجابته..

لا أعلم هل يهم لو تذكّرت فاتنة الطفلة الصغيرة التي عشقتكَ وكنت كل شيء بالنسبة

لها أم لا؟!



لا يهم لو تقدّمت لي ك فاتنة التي عرفتها مؤخرا وأعجبت بها وطلبتها للزواج!

وها أنا اليوم أنتظركَ ولا أعلم هل أخبركَ أم لا؟!

اليوم خطبتي لأحمد حبيبي وفارس أحلامي.. الوحيد الذي تمنيته وحقّق الله لي أمنيتي..

اليوم أسعد يوم بحياتي بأكملها.. ولاأزال في حيرة من أمري!

هل أخبركَ من أنا؟!

أم أظل بالنسبة إليكَ ك فاتنة ابنة العائلة الكبيرة التي تعرّف عليها؟!

****



الرسالة الخامسة

لا أصدق أنني رأيتها بعد كل هذه السنوات!

كيف؟ ومتى؟! ولماذا؟ لا أفهم!

مشاعري مبعثرة منذ رؤيتها بعدما فقدت الأمل برؤيتها..

بدأت حكايتنا إذا صح القول أنها حكاية عندما رأيتها صدفة منذ خمسة عشر سنة..

كانت ليلة غريبة ببدايتها ولكن نهايته كانت من أجمل ما يكون..

كنت أسير بالطريق لا أعلم إلى أين أذهب بعدما تشاجرت مع أبي بسبب إصراره على

الزج بي بأعمال لا تمت لي بصلة ولدراستي فخرجت وتركت المنزل حتى لا تزيد

المشكلة بيننا علّني أجد حلا وسطا يرضي الطرفين عندما رأيتها..



طفلة صغيرة تلعب بحديقة لا أتذكر حتى كيف وصلت لها وأنا شارد ومتعمق بتفكيري

لأتفاجأ بها تلعب تحت المطر بوقت متأخر من الليل لأجذبها لمكان مظلل وأنا أسألها

عن والديها وكيف تركاها بهذا الوقت وهذا الطقس المريع!

لتصدمني أنهما ماتا وهي بمفردها!!

لم أعلم هل أصدقها أم لا ولكني تغاضيت عن ذلك مخبرا نفسي أنها صغيرة ربما

تخترع القصص للفت النظر ورافقتها لمطعم قريب وأكلنا سويا وأنا لم أشعر بالاستمتاع

هكذا منذ مدة كبيرة.

وأوصلتها للمكان الذي أخبرتني أنه منزلها وعلى الرغم من صغره والظلام الذي يحيط

به بل وطلبها ألا أتركها إلا أني كنت مضطرا لتركها فإلى أين سأرافقها وماذا أخبر

أهلي عنـها؟!

تركتـها على مضض وأنـا أشعر أنني أترك قطعة من قلبي وعدت لمنزلي وقلبي وعقلي

معها ..

أفكر هل صدقت وأنـها بلا أهل حقا!

أم أنـها لأهل مـهملين لا يقدرون نـعمة الله عليـهم؟!

وماذا أفعل في الحالتين؟ كيف أنقذها منـهم؟!

وتوالت اللقاءات طوال أسبوع.. أذهب لـها كل ليلة ألاعبها وأتنـاول طعامي معها وتدخل

هي لحياتي الكئيبة البـهجة والأمل المليئة بهم قلوب الاطفال.

حتى تلك الليلـة التي لم أستطع الذهاب لـها بـها.. فقد تعرّض والدي لأزمة صحية نُقِلَ

على إثرها للمشفى ولم أستطع الذهاب لها فقد مكثت معه حتى اليوم التالي وذهبت الليلة

التالية وكلي لهفة للقائها وأنا أعلم أنها بالتأكيد غاضبة مني

ولكن الصدمة أنني لم أجد

لها أثرا!

كدت اجن وأنا أدعو الله أن أراها، أن أعلم عنها أي شيء دون جدوى..

شهر كامل مرّ عليّ كأنه عام بل أعوام بدونها.. أسأل الجميع عن تلك الطفلة الفاتنة

التي أذهبت عقلي وقلبي بفتنتها ولا أحد يعلم عنها شيئا حتى أخبرني أحدهم أن قريبا لها

أتى واصطحبها معه ذات ليلة.

وقتها على قدر راحتي أنها وجدت لها أهلا بعدما كان يجلدني ضميري كل ليلة على

تركي لها بمفردها دون مساعدتها بأي شي.. على قدر حزني أنني لن أراها مرة أخرى.

وتمر السنون وتلك الطفلة التي فتنتني بتلقائيتها ومرحها رغم ظروفها وهالة البراءة

التي تحيط بها لا تختفي من خيالي ابدا..يراودني خيالها من فترة لأخرى، ضحكتها

البريئة المرحة وتساؤلاتها عني وعن عائلتي التي لم أكن أريد تذكرها وأنا معها

تعليقاتها وهي تخبرني.. لا يصح عمو عندما أقبّلها أو ألمسها بعفوية..

أبتسم كلما أتى طيفها لخيالي وأتمنى لو عادت بي الأيام وأخذتها تعيش معي حتى لو

وقفت أمام عائلتي بأكملها من أجلها.

لكن لا تفيد تلك ال (لو) بعد فوات الأوان.

فقد اختفت من حياتي ولم أعرف لها طريقا قط.

حتى كانت تلك الحفلة التي ذهبت لها على مضض من أجل زوجة عمي الرقيقة التي

كانت تذكرني بفاتنتي الصغيرة.. وهناك رأيتها!

لم أصدّق عيني أبدا عندما رأيتها.. هل هي حقا؟!



هل هي فاتنتي الصغيرة التي شعرت أن حياتي انتهت باختفائها؟

تابعتها لأجدها تهرب من اللقاء بي، تهرب من النظر لي.. لأسألها:

" هل تقابلنا من قبل؟"

لأجدها ترمقني بنظرة غريبة كدت أضحك وقتها عاليا ترمقني بعتب ظهر رغما عنها

لأبتسم بخفة وأنا أضمر أمرا..

ترتبك وتفقد الوعي لتفيق بين ذراعيّ أنا.. وقلبي النابض بحبها يرتجف بين ضلوعي

خشية فقدانها بعدما وجدتها أخيرا.

لتتوالى اللقاءات المصطنعة من جانبي والتي ساعدتني بها زوجة عمي والتي اكتشفت

انها عمتها وكان ذلك بصالحي.. خاصة عندما لاحظت أنها تميل لجمعي بفاتنتي.



لم أفهم يوما هل أحببتها منذ كانت طفلة أم أن الفاتنة سحرتني طفلة وناضجة!

ولكني قررت أنها ستكون لي ولن أتركها مرة أخرى ووضعت قراري محل التنفيذ

وكلّمت زوجة عمي لتخطبها لي..

"زوجة عمي، هل لي بطلب؟"

"بالتأكيد أحمد ماذا هناك؟"

أجابتني بعفويتها المعتادة لأخبرها":أريدك أن تسألي فاتنة ردها أولا قبل جدي"

وقتها رمقتني بدهشة ولكنها تفهّمت الموقف كعادتها ولم تسأل أكثر.

هل أخبركم بمدى سعادتي عندما أتاني الرد؟!

لا اظن أنني سأجد الكلمات لوصف مشاعري وقتها!

هل كنت أحلّق من السعادة؟! أم أنه عدم التصديق؟!

أم أنه أمل أنها ربما عرفتني مثلما عرفتها!!



هل كان امتناعي عن الزواج كل تلك السنوات فقط من أجل فاتنتي؟!

هل كان الله يبعدني عن كل تلك الزيجات ويخلصني منها حتى يكافئني بفاتنتي؟!

لا أعلم حقا ولكن كل ما أعلمه ان اليوم خطبتي وفاتنة.. هل تصدقون هذا؟!

أنا حقا لا أصدق ولكني أحاول.. أحاول ألا أتهور عندما يعقد قراننا فأضمّها لي أمام

الناس وأعلنها أمام الجميع.. أن فاتنتي لي وأنا لفاتنة.

حبيبتي الصغيرة التي منحت لحياتي نكهة لمدة قصيرة عشت عليها لسنوات حتى قابلتها

مرة أخرى وأصبحت نصيبي..

حبيبتي التي لا أعلم متى ولا كيف أحببتها ولكني أعلم شيئا واحدا فقط..

أنها الوحيدة التي اقتحمت أسوار قلبي العالية بل حطّمتها عن بكرة أبيها.

أنها الوحيدة التي أريدها بجانبي حتى آخر نفس يخرج من صدري..

ولكني متردد.. هل أخبرها؟! هل تتذكرني هي؟!

أم محتني من ذاكرتها تلك الليلة التي خذلتها بها ولم أذهب للقائها كالمعتاد؟!

وبعد تفكير عميق قررت أني سأخبرها ولكن بعد عقد القران حتى أتبع كل اعتراف

مني بقبلة لوجنتها التي كانت تمنعني عنها وهي طفلة..

سأقطف ثمارها ولن تستطيع منعي أبدا قائلة:

"لا يصح عمو".

تمت بحمد الله

